

الأسلوب القرآني الحكيم ودوره في بناء عقل الإنسان

د. علي محمد إبراهيم شهاب

أستاذ الكتاب والسنة المساعد بقسم الدراسات الإسلامية
كلية العلوم والآداب ببلقرن-جامعة بيشة

مستخلص. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فموضوع البحث هو الأسلوب القرآني الحكيم ودوره في بناء عقل الإنسان، وقد اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى: مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وثبت للمصادر والمراجع، وفهرس بالموضوعات. والدراسة تهدف إلى توضيح أساليب القرآن الحكيم ودورها في بناء عقل الإنسان وسلامته.

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله على أشرف خلقه، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وبعد.

فإن الناظر في القرآن الكريم سيلحظ دعوته المتكررة لإعمال النظر والتفكير، وقد كان لهذه الدعوة - ومثيلاتها - أثرها الكبير في بناء عقل الإنسان وسلامته، قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا إِلَيْكَ مَبْرُكًا لِيَذْكُرُوا أَنِيتِهِ وَلِيَذْكُرُوا أُولَ الْأَلْبَابِ﴾^(١). لقد نزل القرآن الكريم في فترة عصيبة، كانت فيها البشرية تتخبط في ظلمات الخرافة والجهل،

(١) سورة ص، آية: ٢٩.

وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝^(٤)، ومعلوم أن القراءة هي البوابة الرئيسة للعلم، ويستطيع الإنسان من خلالها أن يقف على حقائق الأمور ومعرفتها، وبالتالي يكون دخوله للإسلام دخولا صحيحاً سليماً.

لقد كان لدعوة القرآن الكريم المتكررة للتفكير والتفكر والتذكر؛ بالغ الأثر في فكر علماء المسلمين الذين تركوا لنا سلطاناً ومجداً، فأبدعوا في الابتكار والتطوير والتجديد، وكان القرآن الكريم - بالإضافة إلى عمليات التفكر التي يطلبها من الإنسان - يمددهم بأجوبة نوعية تتعلق بالإله والإنسان والحياة والمبدأ والمصير.

وقد ارتضت حكمة القرآن من الإنسان ذلك حتى يكون له دور متبصر، فيقوم بواجب الاستخلاف في الأرض، ومعلوم أن طبيعة الحياة في تطور مستمر، ومن غير اللائق أن يقف الإنسان فيها موقف المتفرج؛ لا سيما أن القرآن الكريم قد أسس لبناء عقلية منفتحة ترحب بالاجتهاد ضمن ضوابط محددة^(٥)، وهو إلى ذلك يذم التقليد والمقلدين الذين يجعلون عقولهم رهينة لعادات ألفوها، أو مسلمات ورثوها عن الآباء والأجداد دون أي مستند أو دليل، والقرآن عندما يأمر بالتجاوب مع معطيات الحياة المتجددة، واكتشاف سنن الله تعالى في الخلق فإنه بذلك يفتح باباً للعقل، يرفده بالجديد، يقول

فالعرب حينها لم يؤمنوا بدين سماوي، والشرك بالله كان سائداً بينهم، وما زال الشرك يقوى فيهم حتى أصبح الذين يميزون بين الآلهة والوسطاء شواذ في الأمة، يقول أبو رجاء العطاردي: "كُنَّا نَعْبُدُ الْحَجَرَ، فَإِذَا وَجَدْنَا حَجَرًا هُوَ أَحْيَرُ مِنْهُ أَلْفَيْئَاهُ، وَأَخَذْنَا الْآخَرَ، فَإِذَا لَمْ نَجِدْ حَجَرًا جَمَعْنَا جُثَّةً مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ جِئْنَا بِالشَّاةِ فَحَلَبْنَاهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُقْنَا بِهِ..."^(١).

ولم تلبث النصرانية هي الأخرى حتى انحرفت عن مسارها السماوي، وذلك عندما سلك بها الرومان مسالكهم الوثنية، فقالوا بتعدد الآلهة، وظهرت فكرة تجمع الآلهة الثلاثة في واحد، ثم صارت شيئاً فشيئاً هي العقيدة النصرانية المعتمدة في الكنيسة.

واستمر الوضع على ذلك حتى نزلت دعوة الحق على الرسول محمد -عليه الصلاة والسلام- في عام (٦١٠م)^(٢)؛ تدعو لقيم ومبادئ واضحة تتسجم مع فطرة التوحيد التي أودعها المولى عز وجل في الإنسان، ولأنها دعوة الحق فهي لا تخشى شيئاً، ولذا جاء الأمر بالقراءة في أول ما نزل من الوحي^(٣)، قال

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير (بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ)، ج ٤٣٧٦، كتاب المغازي، باب: وفد بني حنيفة، ١٧١/٥.

(٢) انظر: المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم (بيروت: دار الهلال، ١٤٢٧هـ)، ص ٥٦.

(٣) بدليل حديث بدء الوحي، وفيه: (فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره إلى أن قالت: ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي، انظر: صحيح البخاري، ١٧٣/٦.

(٤) سورة العلق، آية: ١-٥.

(٥) قال صلى الله عليه وسلم: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَنِبْ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَنِبْ ثُمَّ أخطأَ فَلَهُ أَجْرٌ»، البخاري، مرجع سابق، كتاب الاعتصام، باب: الكتاب والسنة، ١٠٨/٩.

٢- المقارنة بين نظرة القرآن للعقل، ونظرة أصحاب الملل الأخرى له، وإن كان ذلك بطريقة غير مباشرة.

● أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة للكشف عن الموضوعات الآتية:

- ١- إبراز المآثر التي سوف تجنيها البشرية حال التزامها بمنهج القرآن الكريم.
- ٢- إظهار إسهامات الوحي المتنوعة والشاملة حتى لأدق الموضوعات، كموضوعنا هذا.
- ٣- إيضاح دور أساليب القرآن في بناء عقل الإنسان وسلامته.

● الدراسات السابقة:

من خلال البحث في قاعدة الرسائل الجامعية الصادرة عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وغيرها من المواقع الالكترونية، فإنني لم أقف على دراسة أكاديمية تبحث في هذا الموضوع بشكل خاص، والله أعلم.

● حدود البحث:

سيكون حدُّ البحث مقتصرًا على أساليب القرآن الحكيم و دورها في بناء عقل الإنسان وسلامته، وسوف يشتمل البحث بالضرورة على بيان معاني الحكمة في اللغة العربية - لغة القرآن الكريم - ومعاني بعض مرادفاتها، بالإضافة لمعنى العقل، وغيرها من الموضوعات الفرعية.

تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١). (٢)
ولا شك أن الوقوف على تلك الدعوات التي يتناولها القرآن من الأمور البالغة الأهمية، لأنها تعين على معرفة أسباب تميز المسلم في شخصيته، بالإضافة إلى الوقوف على أساليب القرآن وطريقته في بناء عقل الإنسان، كما أنها تؤسس لنشر فكر ثقافي وحضاري صحيح في المجتمعات المسلمة، إلى غير ذلك من الفوائد.

وفكرة البحث قائمة على إبراز الأسلوب القرآني ودوره الحكيم في رحلة البناء والتشييد لهذا المخلوق العظيم، وهذا مما يزيد البحث أهمية، وأحسب أن الموضوعات التي يتناولها هذا البحث لم تبحث بشكل كافٍ، كما هو الحال في الدراسات والأبحاث الأكاديمية، حيث الاستقراء والتدقيق، والاستشهاد بالحجج والبراهين، وقد آثرت أن يكون البحث بعنوان: (الأسلوب القرآني الحكيم ودوره في بناء عقل الإنسان).

● أهمية الدراسة:

بالإضافة إلى ما سبقت الإشارة إليه في المقدمة، فهناك نقاط أخرى تبين أهمية الموضوع وأسباب اختياره، من أهمها:

- ١- إبراز القيم والمبادئ الإسلامية من خلال الوقوف على آيات القرآن الحكيم.

(١) سورة العنكبوت، آية: ٢٠.

(٢) انظر: عبد الكريم بكار، تجدد الوعي، ط٣ (دمشق: دار القلم، ٢٠١٠م)،

وهو مرتب على النحو التالي:

المقدمة: عرّفت فيها بالموضوع وأهميته، وأسباب عنايتي به.

المبحث الأول: نظرة القرآن الحكيم للإنسان، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بنظرة القرآن للدور المنتظر من الإنسان.

المطلب الثاني: بيان معاني الحكمة في اللغة، وبعض ما جاء من معانيها في كلام العلماء والمفسرين.

المبحث الثاني: العقل في القرآن الكريم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف العقل.

المطلب الثاني: وظيفة العقل عند الإنسان.

المبحث الثالث: الأسلوب القرآني في رحلة بناء عقل الإنسان، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المراد بالأسلوب القرآني.

المطلب الثاني: أسلوب الحث والتعزيز في رحلة بناء العقل.

المطلب الثالث: أسلوب النهي والتحقير في رحلة بناء العقل.

المبحث الرابع: أثر القرآن الكريم في عقل الإنسان وسلامته.

الخاتمة: فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

ثبت المصادر والمراجع.

● منهج الدراسة:

استلزم موضوع البحث سلوك العديد من المناهج، منها:

١- المنهج الاستقرائي: القائم على جمع النصوص.

٢- المنهج التحليلي: القائم على تحليل بعض النظريات، والكشف عن دلالة الآيات القرآنية وآثارها المعرفية.

٣- المنهج النقدي: من خلال نقد المصادر والمناهج التي تتعارض مع نهج السلف في فهم النصوص والاستدلال.

٤- المنهج المقارن: من خلال المقارنة بين أسلوب القرآن وطريقته في البناء، مع باقي الأساليب والنظريات الفلسفية الأخرى.

● إجراءات الدراسة:

وقد التزمت في كتابته ما يلي:

١- كتبت الآيات حسب الرسم العثماني.

٢- عزوت الآيات إلى سورها، ذاكراً اسم السورة ورقم الآية.

٣- خرّجت الأحاديث، مكتفياً بالصحيحين أو بأحدهما إن كان الحديث فيهما، فإن لم يكن خرّجته باختصار.

٤- عزوت الأقوال إلى أصحابها ووثقتها من كتب أصحابها، فإن لم أستطع وثقتها من المصادر والمراجع الأخرى.

٥- ذكرت تفاصيل المصادر والمراجع في ثبت مستقل في آخر البحث.

أرضه^(٤)، ومنحه القدرة، والعلم، والحياة، والإرادة، حتى يكون سبباً في بناء الأرض، وانتشار ذريته في أرجاء المعمورة بالتطور والتقدم، وكلما ارتقى الإنسان في سلم المعارف، زاد نفعه، وكثر خيريه، وعمت بركته، لا سيما إن كان نصيبه من المعرفة قد ارتقى إلى خالقه وسيدّه ومولاه.

قال الدكتور خليل: (إننا حينما نتقننا في أرجاء القرآن الفسيحة لمطالعة الآيات والمقاطع الخاصة بخلق الكون وتهيئة الظروف الصالحة للحياة على الأرض، وتمعنا فيها، وجدناها ترتبط ارتباطاً عضوياً أصيلاً بالدور المنتظر الذي بعث الإنسان لكي يلعبه، وبالقصد والجدوى والنظام والإعمار والغاية التي بعث من أجلها، وهي كلها قواعد أساسية لأي نشاط فعال هادف منظم متطور على الأرض...) (٥).

والمسلم يدرك حقيقة التسخير، وهو مطالب بأن يتعامل مع الأرض التي يسكنها انطلاقاً من كونه خليفة الله في أرضه، فهي مجاله، وهي بيئته التي خلقها المولى عز وجل من أجله، وإن جمالها وعطاءها لن يتجلى إلا إذا عمل فيها الإنسان عقله^(٦)، قال تعالى: ﴿لَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي

وبكل حال فإنني لا أدعي الإحاطة بكتابتي في هذا الموضوع ولا شمول البحث فيه، لما يعتريني من النقص والقصور، ثم لتشعب الموضوع وسعته. هذا.. وإنني أسأل الله العليّ القدير أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي، وأن يكون من العلوم التي ينتفع بها، والله وليّ التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم...

المبحث الأول: نظرة القرآن الحكيم للإنسان.

المطلب الأول: التعريف بنظرة القرآن للدور

المنتظر من الإنسان:

يقول المولى عز وجل في محكم التنزيل:

﴿سَرُّهُمْ ءِآيَتَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَّهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(١).

إن الإنسان هو الكائن المعجز في خلقه، المكرم^(٢) في أصل نشأته؛ خلقه الله تعالى بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته^(٣)، واستخلفه في

(١) سورة فصلت، آية: ٥٣.

(٢) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْأَخْضَرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مَّمَّنْ خَلَقْنَا تَقْضِيلًا﴾، سورة الأسراء، آية: ٧٠.

(٣) قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَنِي آدَمَ مِن طِينٍ ۖ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۝ فَسَجَدَ الْمَلٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝ إِلَّا إِبْلِيسَ ۖ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝ قَالَ إِنِّي لَبِيسٌ مَّا مَنَّكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِكَ ۖ سَبَّحْتَ أَكْثَرًا مِّنَ الْعَالِينَ﴾، سورة ص: ٧١-٧٥.

(٤) قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ سورة البقرة: ٣٠.

(٥) انظر: د. عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، ط٣ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨١م) ص١٧٦.

(٦) وقد ارتبط بناء الأرض وعمارها في فكر المسلمين وثقافتهم بالإيمان بالله، حيث قال عليه الصلاة والسلام: (الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وسبسون - شعباً، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ يَغْيِرْ عَلَيْهِ وَلَا هُدَىٰ وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ^(١)
قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآبِّيْنَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾^(٣)، ولم تقتصر الآيات القرآنية على ذكر الدور الذي ينتظر الإنسان على الأرض، حتى طالبتة بالإتقان والإحسان، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٥)،

(الأذى عن الطريق...)، انظر: صحيح مسلم، ح ٣٥، كتاب الإيمان، باب: شعب الإيمان، ٦٣/١، وفي الحديث أيضاً: (لا يُولَنُ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ)، انظر: صحيح البخاري، ح ٢٣٩، كتاب الوضوء، باب: البول في الماء الدائم، ٥٧/١، وفي مسلم برقم (٢٨٢)، وقال عليه الصلاة والسلام: (اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ، قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ فِي ظِلِّهِمْ)، انظر: صحيح مسلم، ح ٢٦٩، كتاب الطهارة، باب: النهي من التخلي في الطرق، والظلال، ٢٢٦/١، ونصوص الوحي تطلب من الإنسان المحافظة على الأرض حتى آخر رمق من حياتهم، يقول—عليه الصلاة والسلام—: (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبَيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرُسَهَا فَلْيُفْعَلْ)، مسند أحمد، ح ١٢٩٨١، ٢٩٦/٢٠، وقال عليه الصلاة والسلام: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرُسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ)، انظر: صحيح البخاري، ح ٢٣٢٠، كتاب المزارعة، باب: فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، ١٠٣/٣، وصحيح مسلم، مرجع سابق، ح ١٥٥٣، كتاب المساقاة، باب: فضل الغرس والزرع، ١١٨٩/٣.

(١) سورة لقمان، آية: ٢٠.

(٢) سورة إبراهيم، آية: ٣٣، ٣٢.

(٣) سورة النحل، آية: ١٤.

(٤) سورة هود، آية: ٧.

(٥) سورة يونس، آية: ٣.

وقال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٦)، وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾^(٧)، وهذه الآيات تستحث يقظة الإنسان حتى يفتن للدور الذي ينتظره، فهو في دار ابتلاء واختبار، وهذه الدار تتطلب منه عملاً وإبداعاً.

والمولى الكريم ميز الإنسان بأدوات العلم والمعرفة، وذلك حتى يقوم بواجبه على أتم وجه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾^(٨)، والمعنى ثم استخلفناكم في الأرض من بعد إهلاك أولئك القرون التي تسمعون أخبارها وتشاهدون آثارها استخلاف من يختبر^(٩).

المطلب الثاني: بيان معاني الحكمة في اللغة، وبعض ما جاء من معانيها في كلام العلماء والمفسرين.

الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع، وأول ذلك الحُكْم، وهو المنع من الظلم، وسميت حكمة الدابة لأنها تمنعها يقال حَكَمْتَ الدابة وأَحْكَمْتُها، ويقال: حَكَمْتَ السَّفِيَةَ وأَحْكَمْتُه إذا أَخَذْتَ على يديه ومنعته عن الفساد، قال الشاعر:

(٦) سورة يونس، آية: ٥.

(٧) سورة الأسراء، آية: ١٢.

(٨) سورة يونس، آية: ١٤.

(٩) العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى، أبو السعود، إرشاد العقل

السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (بيروت: دار إحياء التراث،

بدون)، ١٢٧/٤.

وَالْحِكْمَةَ ﴿٥﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ ﴿٦﴾، ولذا جاءت الحكمة بمعنى النبوة، والرسالة، والقرآن، والتوراة، والإنجيل، وقد جاءت بمعنى الحِلْم، وهو ضبط النفس والطَّبْع عن هيجان الغضب، وهذا المعنى قريب من معنى العدل، كما تُطلق الحكمة على الورع والإصابة، والتَّقَرُّر في أمر الله واتباعه، والحكمة من الله: معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الأحكام. (٧)

وعند التأمل والتدقيق في معاني الحكمة نجد أنها تدور حول المنع، فالعلم يمنع صاحبه من الوقوع في الجهل، والعدل يمنع صاحبه من التسرع في الظلم، والحلم يمنع صاحبه من التسرع والغضب (٨)، وهذا ما يفسر موقف الإسلام الحاسم من المعاصي والآثام.

قال الشيخ الشنقيطي: (والتحقيق أن الله يشرع الأحكام من أجل حكم باهرة ومصالح عظيمة، ولكن المصلحة في جميع ذلك راجعة إلى المخلوقين الذين هم في غاية الفقر والحاجة إلى ما يشرعه لهم خالقهم من الحكم والمصالح وهو جل وعلا غني لذاته الغني

أَبْنِي حَنِيفَةً أَحْكُمُوا سُفْهَاءَكُمْ *** إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضِبَا (١)

والحكمة هذا قياسها، لأنها تمنع من الجهل، وتقول: حَكَمْتُ فلاناً تحكيماً منعه عما يريد، وحَكَمَ فلانٌ في كذا، إذا جُعِلَ أمره إليه، والمحكَّم: المجرب المنسوب إلى الحكمة، قال طرفة:

لَيْتَ الْمُحَكَّمِ وَالْمَوْعُوظَ صَوْتَكُمَا *** تَحْتَ الثَّرَابِ إِذَا مَا الْبَاطِلُ انْكَشَفَا (٢)

وَالْحِكْمَةُ، بالكسر: العَدْلُ في القَضَاءِ كَالْحُكْمِ، وَ الْحِكْمَةُ: الْعِلْمُ بِحَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ، وَالْعَمَلُ بِمُقْتَضَاهَا.

وقال الجوهري: الْحُكْمُ: الْحِكْمَةُ مِنَ الْعِلْمِ، وَالْحَكِيمُ: الْعَالِمُ، وَصَاحِبُ الْحِكْمَةِ، وَقَدْ حَكَمَ كَكَرَّمْ: صَارَ حَكِيمًا، قَالَ النَّمِرُ بْنُ تَوَلَبٍ:

وَأَبْغَضُ بَغِيضِكَ بُغْضًا رُوَيْدًا *** إِذَا أَنْتَ حَاوَلْتَ أَنْ تَحْكُمَا (٣)

وَالْحُكْمُ الْعِلْمُ وَالْفَقْه، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا﴾ (٤)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ

(١) قاله جرير لبني حنيفة، وكان ميلهم مع الفرزدق، انظر: الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طه (بدون: دار الجبل، ١٩٨١م)، ١٦٨/٢.

(٢) أراد بالمحكَّم الشيخ المنسوب إلى الحكمة، انظر: أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م)، ٩١/٢، ومحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، ط٣، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، ١٤٣/١٢، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقَّب بمرتضى، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (بدون: دار الهداية، بدون)، ٥١٦/٣١.

(٣) أي: إذا حاولت أن تكون حَكِيمًا، انظر: ابن منظور، مرجع سابق (١٤٠/١٢، والزبيدي، مرجع سابق، ٥٢١/٣١).

(٤) سورة مريم، آية: ١٢.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٤٨.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٥١.

(٧) انظر: أحمد بن فارس، المرجع السابق، ٩١/٢، ومجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي (بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٧٩م)، ٤١٩/١، ومحمد بن مكرم بن علي، وابن منظور، مرجع سابق، ١٠٤/١٢، والزبيدي، مرجع سابق، تحقيق، ٥٢١/٣١.

(٨) القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى (الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٣هـ)، ٢٤/١.

المطلق سبحانه وتعالى عن كل ما لا يليق بجلاله
وكماله^(١).

وفسر الشيخ عبد الرحمن السعدي المراد من
الحكمة، فقال: (هي العلوم النافعة والمعارف
الصائبة، والعقول المسددة، والألباب الرزينة، وإصابة
الصواب في الأقوال والأفعال، ثم قال: وجميع الأمور
لا تصلح إلا بالحكمة، التي هي: وضع الأشياء
مواضعها، وتنزيل الأمور منازلها، والإقدام في محل
الإقدام، والإحجام في موضع الإحجام)^(٢).

ونخلص من ذلك إلى أن الحكمة تعني القصد
والاعتدال، وإدراك العلل^(٣) والغايات، وهذا لا يكون
إلا صبر طويل، ومجاهدة للنفس، يقول تعالى:
﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا
كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٤)، ولعل من

(١) الشنقيطي، محمد الأمين بن المختار، مذكرة أصول الفقه على روضة
الناظر، ٢٥٦/١.

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير
كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي (بدون: مؤسسة
الرسالة، ٢٠٠٠م) ٩٥٧/١.

(٣) والسلف الصالح - رحمهم الله تعالى - لا يختلفون في تعليل أحكام الله،
فهي معللة بجلب المصالح، ودرء المفساد، يقول ابن القيم: وجمهور
الأمة يثبت حكمته سبحانه والغايات المحمودة في أفعاله فليس مع النفاة
سمع ولا عقل ولا إجماع بل السمع والعقل والإجماع والفطرة تشهد
ببطلان قولهم، والله الموفق للصواب وجماع ذلك إن كمال الرب
تعالى وجلاله، وحكمته، وعدله، ورحمته، وقدرته، وإحسانه،
وحمده، ومجده، وحقائق أسمائه الحسنى تمنع كون أفعاله صادرة منه
لا لحكمة ولا لغاية مطلوبة، وجميع أسمائه الحسنى تنفي ذلك وتشهد
ببطلانه، انظر: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن
قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة
والتعليل، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني
الحلي، (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٨)، ٢٠٤/.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٦٩.

الملاحظ جداً هذا التذييل الذي خُتمت به الآية
الكريمة؛ جعلني الله وإياكم من أولي الألباب المؤيدين
بالحكمة وفصل الخطاب.

المبحث الثاني: العقل في القرآن الكريم.

المطلب الأول: تعريف العقل.

العقل في اللغة: قال الراغب الأصفهاني: وأصل
العقل: الإمساك والاستمساك، كعقل البعير بالعقل،
وعقل الدواء البطن، وعقلت المرأة شعرها، وعقل
لسانه: كفه^(٥)، وهنا نلاحظ اشتراك العقل والحكمة
في أصل إرادة المنع.

أما التعبير القرآني للعقل، فقد جاء مجرداً من أل
التعريف بمعنى العقل^(٦)، والذي يشير بدوره إلى
الوظيفة العملية للعقل، ويمكن حصر هذه الأفعال
على النحو التالي:

أ- ورد بصيغة (عقلوه) مرة واحدة في قوله

تعالى: ﴿ثُمَّ يَحْرِقُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ﴾^(٧).

ب- ورد بصيغة (تعقلون) في أربعة وعشرين

موضعاً في القرآن، منها قوله

تعالى: ﴿اتَّامُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ
وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٨)، وقوله

تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ

(٥) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان
الداودي، (دمشق، بيروت: دار القلم، والدار
الشامية، ١٤١٢هـ) ٥٧٨/١.

(٦) وتكرر ذلك في القرآن الكريم في تسعة وأربعين موضعاً، انظر:
محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم،
(القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٧م)، ص ٥٧٥.

(٧) سورة البقرة، آية رقم: ٧٥.

(٨) سورة البقرة، آية رقم: ٤٤.

جزء منه، كما هو مشاع في أوساط المدارس الفلسفية الغربية، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٩)، يقول الفخر الرازي: فيه دلالة على أنَّ القلب آلة لهذا التَّعَقُّل، فوجب جعل القلب محلاً للتَّعَقُّل^(١٠)، كما جاء التأكيد على جهة القلب في الآية ذاتها، بقوله: ﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.

وعلى أساس ذلك عرّف الشنقيطي العقل، فقال: (هو نور روحاني تُدرك به النفس العلوم النظرية والضرورية، وأن من خلقه وأبرزه من العدم إلى الوجود، وزين به العقلاء وأكرمهم به أعلم بمكانه الذي جعله فيه من جملة الفلاسفة الكفرة الخالية قلوبهم من نور سماويٍّ وتعليم إلهيٍّ)^(١١)، ثم قال في

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ^(١٢)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١٣).

ج- ورد بصيغة (نَعْقِل) مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(١٤).

د- ورد بصيغة (يَعْقِلُهَا) مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(١٥).

هـ- ورد بصيغة (يَعْقِلُونَ) في اثنين وعشرين موضعاً، منها قوله تعالى: ﴿وَتَصْرِيفَ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١٦)، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾^(١٧).

وقد عبّر المولى سبحانه وتعالى عن التعقل بالفاظ أخرى^(١٨)، وكان من اللافت للنظر أن ينسب القرآن العقل إلى القلب^(١٩) وليس إلى الرأس ولا إلى

سورة البقرة، آية: ٢٣، وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفِتْنَةَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ

أَقْفَالًا﴾ انظر سورة محمد، آية: ٢٤، وكان صلى الله عليه وسلم يكثر

أن يقول: (يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ) ، قال أنس رضي الله عنه، فقلنا يا رسول الله أماناً بك وبما جئت به ، فهل تخاف عني؟ قال : فَقَالَ : (نَعَمْ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُقَلِّبُهَا)، انظر: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت: دار المغرب، ١٩٩٨م) ح ٢١٤٠، أبواب القدر، باب: ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن، ١٦/٤، وحسنه الترمذي.

(٩) سورة الحج، آية: ٤٦.

(١٠) الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، مفاتيح الغيب،

ط٣ (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ)، ٢٣/٢٣٤.

(١١) منقول من كلام الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، العذب النмир من مجالس الشنقيطي في التفسير، تحقيق: خالد السبت، ط٢ (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ)، ١٥٩/١، ومجالس مع فضيلة الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي، (الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٧م) ٨٦/١.

(١) سورة البقرة، آية رقم: ٢٤٢.

(٢) سورة يوسف، آية رقم: ٢.

(٣) سورة الملك، آية رقم: ١٠.

(٤) سورة العنكبوت، آية رقم: ٤٣.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٦٤.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٧٠.

(٧) كالججر، وأولي النهى، وأولي الألباب.

(٨) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾

انظر: سورة الأعراف، آية: ١٧٩، وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا

بُؤْسٌ ﴿٥٥﴾ إِلَّا مَنَ اتَّقَى اللَّهَ يَقْلِبْ سَلِيمٌ﴾، انظر: سورة الشعراء ٨٨-٨٩،

وقوله: ﴿خَتَرَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ انظر: سورة البقرة، آية: ٧، وقال سبحانه

: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ انظر:

سورة ق، آية: ٣٧، وقال: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَرَ عَلَىٰ

سَمْعِهِ وَغَلَبَ عَلَيْهِ وَجَعَلْ عَلَىٰ بَصَرِهِ عَشْرَةَ أَفْئِدَةٍ مِّنْ يَّهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ انظر:

والسنة النبوية)، ولا تعارض في ذلك بين العقل والنقل بل هو توافق وتناغم وانسجام، يقول الدكتور راجح كردي: (وهذه ميزة القرآن الكريم على غيره فيما يتعلق بمصادر المعرفة، فالقرآن يأخذ على المذاهب البشرية انشطاريّتها في تحديد طريق المعرفة، فيأخذ على التجريبيين حصرهم لطرق المعرفة بالحواس واعتبارهم العقل حساً أو انعكاساً لأثر الحواس، كما يأخذ على العقليين تطرفهم في تقديس العقل وتجاوزهم في تقدير دوره في المعرفة، فالقرآن لا يؤيد فكرة الصراع بين الحس والعقل، بل يجعلهما منسجمين انسجام الفطرة الإنسانية المخلوقة بإحكام وتكامل فيما بين أجزائها) (٥).

وبنفس هذا التوافق والانسجام في العلوم والمعارف، يكون التوافق والانسجام بين سائر أعضاء الإنسان (٦)، والمحصلة في نهاية الأمر واحدة، حيث الألوهية المطلقة لله تعالى.

والقرآن يمضي قدماً في تقرير ذلك، فتجده يذكر هذا التوافق والانسجام فيما هو أبعد من ذلك، حيث الكون بما فيه من أجرام وأفلاك مع صديقه الإنسان، حيث يقول تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا

موضع آخر: (والله عز وجل لم يكذب اليهود عندما نسبوا العقل إلى القلب، فقالوا: قُلُوبُنَا غُلْفٌ بسكون اللّام يعنون: أنّ عليها غلافًا، أي: غشاء يمنعها من فهم ما تقول؛ فأقرهم الله على أنّ قلوبهم هي محل الفهم والإدراك؛ لأنها محلّ العقل، ولكن كذبهم في ادّعائهم أنّ عليها غلافًا مانعًا لها من الفهم، فقال - على سبيل الإضراب الإبطالي، فقال سبحانه: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١)، كما أن المشركين كانوا يعلمون أيضاً بأن محلّ العقل القلب، والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ فِيءِ أَذَانِنَا وَقَدْ وَصَّيْنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾ (٢)، ولم يكذبهم الله في ذلك، ولكنه وبّخهم على كفرهم، فقال: ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا﴾ (٣) (٤).

المطلب الثاني: وظيفة العقل عند الإنسان:

لقد بالغ فلاسفة اليونان في تقديس العقل حتى جعلوه حكماً على الشريعة، فكل ما وافق عليه العقل فهو من الشريعة، وكل ما خالف العقل - بتصورهم - لا يعد من الشريعة، وتبعهم في ذلك بعض المتأثرين بتلك المدارس، كالفارابي وغيره، والصواب أن العقل ما هو إلا وسيلة لفهم الوحي (القرآن الكريم

(٥) راجح عبد الحميد الكردي، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة،

(الرياض: دار الفرقان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م)، ٢/٦٢٥.

(٦) ويمكن أن نستأنس في ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)، انظر: صحيح مسلم، مرجع سابق، ح ٤٦٨٥، كتاب البر والصلة، باب: تراحم المؤمنين وتعاضدهم، ١٢/٤٦٨.

(١) سورة النساء، آية: ١٥٥.

(٢) سورة فصلت، آية: ٥.

(٣) سورة فصلت، آية: ٩.

(٤) انظر: الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٩٥م)، ٥/٢٧٥، وكتاب: مجالس مع فضيلة الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي، مرجع سابق، ١/٩٤، بتصرف.

المطلب الثاني: أسلوب الحث والتعزيز في رحلة بناء العقل:

١- التأكيد على إعمال العقل في قضايا الخلق؛ منها:

أ- الكون والآفاق: قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(١)، والقرآن في هذه الآيات يقدم نموذجاً عظيماً من الخلق، ففي السموات والأرض من مظاهر القدرة والإبداع ما يدهش الإنسان، وربما تخللت آيات الكون أسئلة دقيقة تدعو إلى التحليل، والمقارنة، وبعضها يستحث العقل للاستنباط والاستنتاج^(٢)، ومثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۚ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لِّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۚ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ۚ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ

لَهُمْ سَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ﴾^(٤).

المبحث الثالث: الأسلوب القرآني في رحلة بناء عقل الإنسان.

المطلب الأول: المراد بالأسلوب القرآني:

ويطلق الأسلوب في اللغة على الطريق الممتدة، ويقال للسطر من النخيل أسلوب، والأسلوب الطريق والوجه والمذهب، والأسلوب الفن، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي أفانين منه، وفي اصطلاح البلاغيين: هو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، أو هو العبارات.^(٥)

فالأسلوب القرآني: هو طريقته في تأليف كلامه واختيار ألفاظه، ولهذا الأسلوب القرآني خصائصه الفنية، وسماته البلاغية، ولطائفه اللغوية، وسوانحه العقلية، وتأثيره الخاص في النفوس السوية، وفي النفوس الجامحة أيضاً، وله جمال يعرف ولا يوصف، قال تعالى: ﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا أَحَدًا﴾^(٦)، فمهما قيل فيه فهو أسمى وأرفع من أن تحيط بكنهه العقول، أو تعبر عنه السنة المتكلمين أو أقلام الكاتبين.^(٧)

(١) سورة إبراهيم، آية: ٣٢.

(٢) انظر: د مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، ط ٣ (دمشق: دار القلم، ٢٠٠٥م)، ١/١٤٣-١٤٤.

(٣) سورة الجن، من آية: ١-٢.

(٤) انظر: المرجع السابق، ودكتور محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، ط ٢ (بدون: دار المنار، ١٩٩٩م)، ١/٣٢٧، "بتصرف".

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٩٠-١٩١.

(٦) وهذه الدراسات التنموية والفكرية بطبيعة الحال بحاجة إلى مراصد بحثية، وأجهزة تقنية، وتحتاج إلى معامل وأدوات للتنقيب، والبحث والتحليل، وغيرها من الأمور التي من شأنها أن تحقق معاني استخلاف الإنسان في الأرض.

(٧) سورة الأنبياء، آية: ٣٠-٣٣.

وَلَوْ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ إِلَهٍ إِذَا لَتَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ^(١)، وقوله تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنْ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ^(٢) لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يُصِفُونَ^(٣)﴾، وربما جاء التهديد الصريح لمن يغفل عن الفهم: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُزَيِّقَ بَعْضُكُم بِأَسْ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرْتُ الْأَيْمَنَ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ^(٤)﴾.

ب- الإنسان: وخلق الإنسان بحد ذاته عظة وعبرة، ومن أعظم الشواهد الدالة على عظيم خلق الله وبديع صنعته، قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ^(١)﴾، قال ابن العربي: (ليرى أن الباري تعالى لا يُفقد على جده لظهور آياته في أفعاله ... ولا يُحيط به لكبريائه وعظمته، فإذا وقف متفكراً في هذا ناداه (الاعتبار) ^(١٠)، ومن الأدلة أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ^(١١) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ^(١٢) ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْلًا فَكَسَوْنَا الْعِظْلَ لَحْمًا ثُمَّ خَلَقْنَا آخِرَةً فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ^(١٣) ثُمَّ إِنَّا كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي دَنَّاكُمْ عَلَمًا^(١٤) وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ

الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا^(١٥)، وقوله: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ^(١٦) وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ^(١٧)﴾، وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ^(١٨) وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ^(١٩) وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ^(٢٠) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ^(٢١)﴾، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ^(٢٢)﴾، وقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ^(٢٣)﴾.

كما أن هناك آيات أخرى قد استخدمت الاستبعاد لامتناع تصور ذلك بالعقل، حيث يقول تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ

(٦) سورة المؤمنون، آية: ٩٠.

(٧) سورة الأنبياء، آية: ٢١-٢٢.

(٨) سورة الأنعام، آية: ٦٥.

(٩) سورة الذاريات، آية: ٢١.

(١٠) أبوبكر محمد بن عبد الله ابن العربي، أحكام القرآن، تحقيق: محمد

عبد القادر عطا، (لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر، بدون)، ٢١٥/٣.

(١) سورة الإسراء، آية: ٩٩.

(٢) سورة غافر، آية: ٥٧-٥٨.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٣٠-٣٣.

(٤) سورة الرعد، آية: ٢.

(٥) سورة إبراهيم، آية: ٣٢.

الْعِلْمُ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٧﴾^(١)،
والنصوص في فضل العلم والتعلم في القرآن الكريم،
وفي التراث الإسلامي متوافرة، ولعل القسم بالقلم،
ونزول اقرأ في أول الوحي خير شاهد ودليل.

وبقدر ما جاء في نصوص الوحي من مدح
للعلم والعلماء، كان الذم بأقبح الأوصاف لمن لا يتبع
علمه بعمل، يقول تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ الَّذِي
عَلَيْهِمْ نَبَأٌ لَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَأَتَّبَعُهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٧٥﴾ وَلَوْ
شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَخَبَّرْهُ
كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ
ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٨١﴾﴾، وقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٥﴾
كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٦﴾﴾، وقال
تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ
الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾، وملاحظ في هذا النوع من
الآيات تذييلها بما يستحث العقل على التفكير.

٣- التشديد على الضبط والإتقان والجودة:

إن تربية نفس الإنسان وفكره على اتقان
الأعمال وتجويدها من الأمور الهامة التي أكدت
عليها نصوص الوحي، واعتنت بها عناية فائقة، فعن
أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أن النبي -
صلى الله عليه وسلم- قال: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ

طَرِيقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١﴾، وقال
تعالى: ﴿وَمَنْ يُعِزَّهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا
يَعْقِلُونَ ﴿٧١﴾﴾، وقال تعالى: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ
يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣١﴾ أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيِّ يَمَنِى ﴿٣٧﴾ ثُمَّ
كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ
الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقْدِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ
الْمَوْتَ ﴿٤٠﴾﴾.

٢- الحث على العلم والعمل به:

يعتبر العلم والتعلم أساساً للدور الإنساني في
هذه الحياة، وقد امتن المولى الكريم على البشرية بما
هيأ لهم من أدوات وأسباب بعد أن كانوا صفراً في
هذا الوجود، فقال سبحانه: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنْ
الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ
فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا
﴿٤﴾﴾.

كما رفع القرآن الكريم من مكانة أهل العلم إلى
أعلى المناصب والرتب، حيث يقول: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
﴿٥٠﴾﴾، كما قرن سبحانه شهادتهم بشهادته جلّ جلاله،
وشهادة الملائكة الكرام عليهم الصلاة والسلام ﴿٦١﴾،
فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا
الْحِلْمِ﴾.

(١) سورة المؤمنون، آية: ١٢-١٧.

(٢) سورة يس، آية: ٦٨.

(٣) سورة القيامة، آية: ٣٦-٤٠.

(٤) سورة الإنسان، آية: ٣-١.

(٥) سورة المجادلة، آية: ١١.

(٦) انظر: أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق:

سامي بن محمد سلامة، ط٢ (بدون: دار طبية للنشر والتوزيع،

١٩٩٩م)، ٢/٢٤.

(٧) سورة آل عمران، آية: ١٨.

(٨) سورة الأعراف، آية: ١٧٥-١٧٦.

(٩) سورة الصف: ٢-٣.

(١٠) سورة البقرة، آية: ٤٤.

أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَقَنَّهُ^(١)، وقد تكررت المطالبة بالتحسين والتجويد بألفاظ متنوعة، كالإتقان والإحسان والصدق، وقد ربط الشارع الحكيم تلك المعاني والتعبيرات بتقوى الله، وأداء الأمانة، يقول تعالى: ﴿بِأَيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٢)، والصدق في هذه الآية يشمل جميع الأقوال والأعمال، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣) لا شريك له. وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ^(٤)، ورتب المولى سبحانه وتعالى على ذلك امتحان الانسان في هذه الحياة، فقال: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾^(٥). وفي معنى الإحسان، يقول تعالى: ﴿وَإِحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٦)، وقال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلْيُجِدْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِخْ ذُبِيحَتَهُ)^(٧).

والله سبحانه وتعالى يستحث في الإنسان كذلك جانب القدوة، وذلك عندما يأمره بالنظر إلى بديع صنعه، فيبصر في خلق الرحمن أعلى درجات الإتقان والجودة، قال تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ

شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾^(٨)، وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾^(٩) أي: خلل ونقص، يقول السعدي في تفسيره: (وإذا انتفى النقص من كل وجه، صارت حسنة كاملة، متناسبة من كل وجه، في لونها وهيئتها وارتفاعها، وما فيها من الشمس والقمر والكواكب النيرات، الثوابت منهن والسيارات، ولما كان كمالها معلوماً، أمر الله تعالى بتكرار النظر إليها والتأمل في أرجائها، قال: ﴿فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ﴾ أي: أعده إليها، ناظراً معتبراً ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ أي: نقص واختلال، ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ المراد بذلك: كثرة التكرار ﴿يَقَلِّبَ إِلَيْكَ الْبَصَرَ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ أي: عاجزاً عن أن يرى خلا أو فطوراً، ولو حرص غاية الحرص)^(١٠).

﴿فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(١١) الذي بدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل له السمع والبصر والفؤاد، فخلقه كله حسن، والإنسان من أحسن مخلوقاته، بل هو أحسنها على الإطلاق^(١٢)، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(١٣).

٤ - التشجيع على النظر والاجتهاد :

والتأمل في آيات القرآن يجد أنها قد أجملت القول في أحكام المعاملات، وذلك لأن حاجة الناس إليها متجددة فسمحت بالاجتهاد، ولكن في إطار

(١) أحمد بن علي الموصلي، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين بن سليم أسد، (دمشق: دار المأمون للتراث، ١٩٨٤م)، ح ٤٣٨٦، مسند عاشة، ٣٤٩/٧، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، الرياض: مكتبة المعارف (١١١٣)، ١٠٦/٣.

(٢) سورة التوبة، آية: ١١٩.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٦٢-١٦٣.

(٤) سورة الملك، آية: ٢.

(٥) سورة البقرة، آية: ٩٥.

(٦) صحيح مسلم، مرجع سابق، ح ١٩٥٥، كتاب الإيمان، باب: الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، ١٥٤٨/٣.

(٧) سورة النمل، آية: ٨٨.

(٨) سورة الملك، آية: ٣.

(٩) السعدي، مرجع سابق، سورة الملك، ٨٧٥/١.

(١٠) سورة المؤمنون، آية: ١٤.

(١١) المرجع السابق، ٥٤٨/١.

(١٢) سورة التين، آية: ٤.

الأوائل، هو الذي أدى إلى سيادة الحضارة الإسلامية لقرون طويلة على العالم شرقيه وغربيه، بل ساهمت في بروز عصر النهضة الأوروبية من خلال نزعة كرسها مفهوم عمارة الكون^(٤).

٥- العناية بفهم حقائق الأشياء وجواهرها:

لقد فطر المولى عز وجل الإنسان على محبة الحق والوقوف إلى جانبه، إلا أن الحق عصي على من لا يبذل في سبيل تحصيله الجهد المطلوب، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَوَصَّوْا بِالْحَقِّ وَوَصَّوْا بِالصَّبْرِ ٣﴾.

لقد أشاد القرآن الكريم بالموقف الشجاع لامرأة العزيز عندما قررت قول الحقيقة، فقال سبحانه:

﴿قَالَتْ أَمَرَكَ الْعَزِيزُ أَنْ تَصْخَصَ لِحَقِّ أَنَا وَرَدُّنَا عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ٥١ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ٥٢ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ

بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّيَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٥٣﴾، هكذا بكل بساطة ويسر دون الحاجة إلى الجلوس على كرسي للاعتراف، فالمقصود أن يرى المولى عز وجل من نفس هذا الإنسان الصدق، والانكسار بين يديه؛ مبتعدا عن الهوى، والتعصب، وطلب العزة بالإثم، ولذا جاء في الحديث: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ)^(٧)، وفي

قواعد الشرع الكلية ومقاصده، ولهذا جعلت الأصل في الشروط والعقود الإباحة، وقابلت أمور العقائد والعبادات التي فصلت فيها القول بالمنع والتوقيف، وهذا التمايز - بين القبول والمنع - من شأنه أن يضيف إلى عقل الإنسان الانفتاح المتزن بميزان الشرع، والوحي بذلك يربي في الإنسان جانب المرونة والتوسط والاعتدال، وعليه فإنه لا ينبغي للمسلم أن يقف موقف العداء من علوم الآخرين، وعليه أن ينظر في كل معلومة ترد إليه بنظرة فاحصة متأنية، وقد تعلمنا في تراثنا الإسلامي أن الحكمة ضالة المؤمن^(١)، وسبق أن أخذ أبو هريرة -رضي الله عنه- معلومة من الشيطان، وأكد له النبي صلى الله عليه وسلم صحتها، فقال: (قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ)^(٢)، كما أن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لَا يَهْدِيكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُجْرِمُوا مِمَّنْ دَرَبَكُمْ أَنْ تَبْرُوهُمْ وَتُفْسِدُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ٣﴾، قال جمال عبد العزيز: (وجود هذا التمايز في فهم المسلمين

(١) وقد تراجع النبي صلى الله عليه وسلم عن النهي في أن يجامع الرجل امرأته وهي مرضع بسبب تجربة الروم والفرس، حيث قال: (لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهِيَ عَنْ الْغِيلَةِ حَتَّى ذَكَرْتُ أَنَّ الرُّومَ، وَفَارِسَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فَلَا يَضُرُّ أَوْلَادَهُمْ)، انظر: صحيح مسلم، مرجع سابق، ح ١٤٢٢، كتاب النكاح، باب: جواز الغيلة، وهي وطء المرضع، وكراهة العزل، ١٠٦٦/٢.

(٢) البخاري، مرجع سابق، ح ٢٣١١، كتاب الجمعة، باب: ﴿إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ﴾، ١٧/٦٠، وجاء فيها: (وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي أَنْتِ فَجَعَلَ يَخْتُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، فَقَالَ: إِذَا أُوْتِيتَ إِلَى فَرَاثِكَ فَأَقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَفْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ذَلِكَ شَيْطَانٌ".

(٣) سورة الممتحنة، آية: ٨.

(٤) جمال عبد العزيز، مصدرية القرآن والسنة للمعرفة، والإحالة على

كتاب: مصادر المعرفة للدكتور جمال عبد العزيز شريف والبروفيسر

عبد الله محمد الأمين النعيم، ص ١٢، على الرابط:

<https://vb.tafsir.net/tafsir16002/#post78798>

(٥) سورة العصر ١-٣.

(٦) سورة يوسف، آية: ٥٣-٥١.

(٧) صحيح مسلم، ح (٤٦٥١)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم

ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، ١٢/٢٧٤.

الملاحظة، والدقة، والمراقبة هو القرآن الكريم، ومثاله على النحو التالي:

أ- استخدام القرآن الكريم لأسلوب الاستجواب العقلي، وهذا الأسلوب يهدف إلى استثارة القوى العقلية^(٧)، لأجل تقرير حقيقة الألوهية، قال تعالى: ﴿وَلَيْنَسْأَلَنَّهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَتَّقُونَ خَلْقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾^(٨) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١١﴾ لِّيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٢﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٣﴾ وقال سبحانه: ﴿قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ مَن يَدِينُهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿١٩﴾﴾.

كما أن القرآن الكريم قد ذكر لنا الرد على سؤال موسى عليه السلام؛ عندما طلب رؤية خالقه وسيده ومولاه، فأرشده الله تعالى إلى النظر لملاحظة التغير الذي سيطرأ على الجبل، حالة تجلي الله سبحانه له، ومنه يصل المرء إلى

موضع آخر: (رُبَّ أَشْعَثَ مَذْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ)^(١)، وما زال القرآن الكريم يُنمي في نفوس أتباعه الجانب الرقابي، فقال: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^(٢)، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^(٣) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٤)، حتى أسهم ذلك في استشعار حجم المسؤولية، وعليه فلا مناص للمسلم من البحث عن الحقيقة والوقوف إلى جانبها، حتى يصدق على الإنسان مسمى الإسلام.

كما أمر المولى سبحانه وتعالى بأن يكون ميزان الحق والعدل هو الحكم بين العباد، فقال سبحانه: ﴿يَذَاوُرُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾^(٥)، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يربي في نفوس أصحابه الوقوف على حقائق الأشياء بالأدلة المحسوسة، فيقول: (لَيْسَ الْخَبْرُ كَالْمُعَانِيَةِ)^(٦)، كما كان عليه الصلاة والسلام يشيد بأصحاب المعرفة، لأنهم وقفوا عليها بأنفسهم، فأصبحوا من أهل الاختصاص والتجربة، ولذا قال عليه الصلاة والسلام في قصة تأبير النخل: (أَنْتُمْ أَغْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ)^(٦)، وأصل دعوة العقل للعمل بالتجربة، والحث على

(١) المرجع السابق، ح(٤٧٥٤)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الضعفاء، ٦٠/١٣.

(٢) سورة ق، آية: ١٨.

(٣) سورة الزلزلة، آية: ٧-٨.

(٤) سورة ص، آية: ٢٦.

(٥) مسند الإمام أحمد، ح(١٨٤٢)، من حديث ابن عباس، وصححه الأرنؤوط في طبعة مؤسسة الرسالة (١٨١٤).

(٦) صحيح مسلم، ح(٦٢٧٧)، كتاب الفضائل، باب: وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره من معاش الدنيا، ٩٥/٧.

(٧) انظر: د. أحمد محمد حسين الدعشي، نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتضميناتها التربوية (دمشق: دار الفكر، ٢٠٠١م)، ص٢٤٩، "بتصرف".

(٨) سورة الزخرف، آية: ٩-١١.

(٩) سورة المؤمنون، آية: ٨٤-٨٩.

كذبة المنافقين، وفي هذه الآية توجيه عظيم للمؤمنين، ودرس كبير ينبغي الاستفادة منه.

ونصوص الوحي دعت بصفة عامة إلى التثبت في نقل الأخبار، وضبطها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِثْلِهِمْ فَتُصِحُّوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(٦)، وجاء في السنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم: (نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَلَبَّغَهُ كَمَا سَمِعَ، فَرُبَّ مُبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ)^(٧) وفي رواية: (نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا حَفِظَهُ حَتَّى يُبْلَغَهُ غَيْرُهُ، فَرُبَّ حَامِلٍ فِيهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِيهِ لَيْسَ بِفَقِيهِ)^(٨)، وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يشدد على الناس في مسألة التثبت، فيقول: (كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ)^(٩)، كما كان عليه الصلاة والسلام يحرك في أصحابه جانب التعقل للوقوف على حقائق الأشياء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: (أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَدَ لِي غُلَامٌ أَسْوَدُ! فَقَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَا أَلْوَانُهَا؟ قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَتَى ذَلِكَ؟ قَالَ: لَعَلَّ نَزْعَهُ عِزْقٌ، قَالَ: فَلَعَلَّ ابْنُكَ هَذَا نَزْعَهُ)^(١٠)، فهذا يُوقف

حقيقة تتصل بالخالق، وهي استحالة رؤيته في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَئِنْ أَنظَرْتَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَخَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١١)، كما جاء الدليل من القرآن الكريم باستخدامه للتجربة العملية في ردوده، وذلك حتى يقف الإنسان على النتيجة بنفسه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَى ثَوَمٍ قَالَ بَلَى وَلَئِن لِّيُطَمِّنَنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْخُفْ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا وَاعْلَمِ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١٢).

ب- التثبت من المعلومة قبل النقل، والقرآن الكريم قد أشاد بالموقف النبيل لأبي أيوب الأنصاري وزوجه، وذلك عندما أنزلا نفسيهما مكان المتهم في الحادثة التي وصفها القرآن الكريم بالإفك، قال تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾^(١٣)، أي فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبه^(١٤)، ولأنهما كانا يتمتعان بقلب سليم، وفكر ناقذ؛ لم تمر عليهما

(٦) سورة الحجرات، آية: ٦٠.

(٧) الترمذي، مرجع سابق، ح ٢٦٥٧، أبواب العلم، باب: ما جاء في الحث

على تبليغ السماع، ٣٣١/٤، وقال: حديث حسن صحيح.

(٨) النسائي، مرجع سابق، ح ٥٨١٦، كتاب العلم، الحث على إبلاغ العلم، ٣٦٣/٥.

(٩) صحيح مسلم، مقدمة الإمام مسلم، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْخَبَرِ بِكُلِّ مَا سَمِعَ، ١٥/١.

(١٠) صحيح البخاري، مرجع سابق، ح (٥٣٠٥)، كتاب العلم، باب: إذا عرض بنفي الولد، ١٣١/١٣.

(١) سورة الأعراف، آية: ١٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦٠.

(٣) انظر: المرعشي، المرجع السابق، ص ٢١٩ - ٢٢٠. "بتصرف".

(٤) سورة النور، آية: ١٢.

(٥) انظر: إسحاق بن إبراهيم بن راهويه، مسند إسحاق، تحقيق: د. عبدالغفور البلوشي (المدينة المنورة: مكتبة الإيمان، بدون)، ٩٧٨/٣، و عمر ابن شبة، تاريخ المدينة، تحقيق: فهم شلتوت (جدة: بدون)، ١٣٩٩، ٣٣٥/١.

قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٠﴾.

وهذه المعاني الشرعية تدعو الإنسان إلى العناية التامة بفهم الحقائق، وهذا يقتضي بطبيعة الحال إلى عدم الاقتصار على ظواهر الأشياء وعوارضها، فالعبرة بالكيف والجوهر، وليس بالكم والمظهر، قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾^(١)، والقرآن بذلك يذم الذين يقفون على ظواهر الأسباب غير ناظرين إلى مسببها والمتصرف فيها.

٦- ضرب الأمثال:

والقرآن الكريم يكثر من هذا الأسلوب حتى يقرب الفهم على المتعلمين، قال ابن القيم-رحمه الله تعالى:- (... وضرب الأمثال، وصرفها في الأنواع المختلفة، كلها أقيسة عقلية ينبه بها عباده على أن حكم الشيء حكم مثله، فإن الأمثال كلها قياسات يعلم منها حكم المُمَثَّل من المُمَثِّل به، وقد اشتمل القرآن على بضعة وأربعين مثلاً تتضمن تشبيه الشيء بنظيره والتسوية بينهما في الحكم، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(٢)، فالقياس في ضرب الأمثال من خاصة العقل، وقد ركز الله في فطر الناس وعقولهم التسوية بين المتماثلين وإنكار التفريق بينهما، والفرق بين

النبي صلى عليه وسلم السائل على عتبة الإجابة، حتى يفقه بفكره ما كان يبحث عنه، وجاء في الحديث أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَا عُدْوَى وَلَا صَفَرَ وَلَا هَامَةَ) فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا بَالُ إِبْلِي تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظُّبَاءُ فَيَأْتِي الْبَعِيرُ الْأَجْرَبُ فَيَدْخُلُ بَيْنَهَا فَيُجْرِبُهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلِ)^(٣).

كما أن نصوص القرآن الكريم تطالب الإنسان بأن يضبط عواطفه وجميع انفعالاته، ويحتكم إلى الصدق والأمانة والعدل، فهذه المعاني هي طريق الحق دائماً وأبداً، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٤)، فالله عز وجل يؤكد هذا الخبر التشريعي بحرف إن، ويفتتحه باسم الجلالة الذي يلقي الحرمة على هذا الخبر ويقوي دواعي الأمة لتلقيه والعمل به، ويخبر عن الاسم بالجملة الفعلية التي تفيد الأمر وتكرره^(٥)، ونظير هذه الآية في القرآن الكريم كثير؛ يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(٦)، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ

(١) صحيح البخاري، مرجع سابق، ح (٥٧١٧)، كتاب العلم، باب: لا صفر وهو داء يأخذ البطن، ٣٥٢/١٤.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٣) انظر: محمد الطاهر بن عاشور، النظام الاجتماعي في الإسلام، ط٣ (تونس: دار سحنون، ٢٠١٠م)، ص ١٧٤.

(٤) سورة النساء، آية: ٥٨.

(٥) سورة المائدة، آية: ٨.

(٦) سورة الروم، آية: ٧.

(٧) سورة العنكبوت، آية: ٤٣.

٧- استخدام القصة:

إن الأسلوب القصصي من الأساليب المشوقة والمحبة للإنسان، والموصولة للفكرة بأسرع طريق، وهذا الأسلوب يعتمد على فهم القصة ومن ثم استنتاج موضع العبرة منها، ولهذا الأسلوب أثره الكبير على النفس، وهو في الوقت ذاته موضع لاعتبار العقل والادِّكار، ولذا ختم المولى سبحانه وتعالى قصة قوم لوط، بقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١)، وقال سبحانه: ﴿فَاقْصُصْ الْفَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢).

لقد قص علينا القرآن الكريم دعوة الأنبياء إلى قومهم بالتفصيل، فذكر المعجزات التي جاءت على أيديهم، وموقف المعاندين منهم، وبيان عاقبتهم، وذلك في مواطن متعددة من الكتاب الكريم؛ منها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ﴾^(٣) وقوم إبراهيم وقوم لوط^(٤) وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَتْ نَكِيرٌ ﴿فَكَأَيُّ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِىٰ مُعْتَلَّةٌ وَقَصِيرٌ مَّشِيدٌ﴾^(٥) أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٦) وقوله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٧).

المختلفين وإنكار الجمع بينهما)^(٨)، ولاشك أنه أسلوب ناجع، لأنه بطبيعة الحال سوف يستحث العقل على الحركة والتفكير، فمن المعلوم أن الشرك بالله يقابله التوحيد، والباطل يقابله حق أبلغ، والضلال يقابله الهدى والنور، وأدلة ذلك في القرآن كثيرة؛ منها: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُمُوتُ وَلَا الْحُرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾^(٩)، وقال سبحانه: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾^(١٠).

وقد خاطب القرآن الكريم فكر الإنسان في أغلب الأمثلة التي جاءت فيه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(١١)، وقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبٌ مَّثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْنَاهُمُ الذُّبَابَ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الظَّالِمُ وَالْمُظْلُومُ﴾^(١٢)، وقال سبحانه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنَكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنَكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(١٣)، ولو تأملنا ما ختمت به الآيات السابقة لأدركنا حكمة القرآن من ذلك.

(١) محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، (بيروت: دار الكتب

العلمية، ١٩٩١م)، ١١٦.

(٢) سورة فاطر، آية: ١٩-٢٢.

(٣) سورة غافر، آية: ٥٨.

(٤) سورة العنكبوت، آية: ٤١.

(٥) سورة الحج، آية: ٧٣.

(٦) سورة الزمر، آية: ٢٧.

(٧) العنكبوت، آية: ٣٥.

(٨) سورة الأعراف، آية: ١٧٦.

(٩) سورة الحج، آية: ٤٢-٤٦.

(١٠) سورة البقرة، آية: ٣٣.

يَفْرُقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرَّةِ وَزَوْجِهِ، وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ^(٤)، قال الشيخ حافظ الحكمي: (وهذا الوعيد لم يُطلق إِلَّا فيما هو كُفْرٌ لَا بَقَاءَ لِلإِيمَانِ مَعَهُ، فَإِنَّهُ مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا ويدخل الجنة، وَكَفَى بِدُخُولِ الْجَنَّةِ خَلَقًا، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ)^(٥)، وقال عليه الصلاة والسلام: (مَنْ أَتَى عَرَفًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)^(٦).

كما نفت نصوص الوحي أن يكون للنجوم أي تأثير على ما كتبه الله سبحانه وتعالى وقدره، فقال عليه الصلاة والسلام: (مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ، اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ)^(٧)، وقال عليه الصلاة والسلام: (إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنَ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُخَوِّفُ بِهَا عِبَادَهُ)^(٨).

٢- ذم التقليد الأعمى: وقد تعمدت أن أصف التقليد المذموم بالعمى، لأن محاربة الوحي للتقليد كان مقتصرًا على التقليد في الباطل والخرافة والهوى، فالقرآن يذم متابعة الآباء والأجداد على أفعالهم

(٤) سورة البقرة، آية: ١٠٢.

(٥) حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، (الدمام: دار ابن القيم، ١٤١٠هـ)، ٥٤٤/٢.

(٦) صحيح مسلم، ج (٢٢٣٠)، كتاب السلام، بابُ تحريم الكهانة وإتيان الكهَّان، ٣٥.

(٧) سنن أبي داود، مرجع سابق، ج (٣٩٠٥)، باب النجوم، ٣٣٩.

(٨) صحيح البخاري، ج (١٠٤٨)، كتاب الجمعة، باب: قوله تعالى (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله)، ٤٦٤/٢.

كما قص علينا القرآن الكريم أخباراً تتعلق بالأمم الغابرة، كقصة ذي القرنين، وأصحاب الكهف، وأصحاب الأخدود، والفيل وغيرها؛ بالإضافة للوقائع والغزوات، كغزوة بدر، وأحد، والأحزاب وغيرها، ولقد اشتهر القصص القرآني -على اختلافه وتنوعه- بأسلوبه الممتع الجميل؛ الذي فاق في سرده ونظمه وبيانه قدرة الإنس والجن، قال تعالى: أَمْ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ^(١)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢)، ولعل من المناسب أن نختم هنا بقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٣).

المطلب الثالث: أسلوب النهي والتحقيق في رحلة بناء العقل:

١- النهي عن السحر، والتحذير من التعلق بالسحرة والكهنة والعرافين: وقد وقف القرآن الكريم من السحرة والمشعوذين موقف المتشدد، وذلك عندما نزل بهم إلى دركات الشرك والمشركين، قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمٌ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا

(١) سورة يوسف، آية: ٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٦٢.

(٣) سورة يوسف، آية: ١١١.

أَحْسَنًا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطَّئُوا أَنْفُسَكُمْ،
 إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تَحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا
 تَظْلِمُوا^(٥)، وقد حكى لنا القرآن إمعة قوم موسى
 عليه السلام عندما سألوه بأن يجعل لهم إلهاً
 غير الله؛ لمجرد أنهم رأوا قوماً يفعلون ذلك، فقال
 سبحانه: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ
 يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا
 كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ
 مُتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ
 اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾

٣- **النهي عن التعالم:** فالقرآن الكريم ينهى عن
 التصدر للناس بالتعليم، والتدريس، والفتيا، قبل
 أن يتلقى الإنسان العلم عن العلماء على أصوله
 وقواعده، فهذا الفعل مذموم في نصوص الوحي،
 قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا
 بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلَّ
 بِهِ سُلْطَانٌ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ ﴿١٧٠﴾، وقد
 سبق معنا الإشارة إلى شيء من ذلك في
 المبحث السابق، حيث العناية بحقائق الأمور
 وجورها، ولا شك أن مطالبة القرآن بالحقيقة في
 تلقي العلم ونشره من أكد المطالب، قال تعالى:
 ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٠﴾، وقال
 سبحانه: ﴿أَتُؤْنِنِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثْقِرَ مِّنْ عِلْمٍ إِن

بدون دليل، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا
 أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ
 ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠١﴾، وقال
 تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا
 وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ
 السَّعِيرِ ﴿١٠٢﴾، وقد أشاد القرآن الكريم بمناظرة
 إبراهيم عليه السلام لقومه، وتفوقه عليهم
 بالحجج، فقال: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ
 قَوْمِهِ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٦﴾،
 وهي حجج علمية قائمة على التجربة بحاسة
 السمع؛ كما كان عليه السلام يستحث فيهم الفكر
 لمشاهدة الباطل والتعقل، فقال تعالى: ﴿وَأَنزِلْ
 عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٢٦﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالُوا
 نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا عَصَافِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ
 إِذْ تَدْعُونَ ﴿١٢٩﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿١٣٠﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا
 ءَابَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿١٣١﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿١٣٢﴾
 أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿١٣٣﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيَ إِلَّا رَبَّ
 الْعَالَمِينَ ﴿١٣٤﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿١٣٥﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي
 وَيَسْقِينِ ﴿١٣٦﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿١٣٧﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ
 يُحْيِينِ ﴿١٣٨﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ
 الدِّينِ ﴿١٣٩﴾

كما جاء النهي عن التقليد المذموم في
 تراث المسلمين، حتى أصبح ذلك مترسxa في
 عقولهم، ومن جملة ذلك ما جاء في الحديث:
 (لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ

(٥) سنن الترمذي، ح (٢٠٠٧)، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في
 الإحسان والعفو) ٤٣٢/٣، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا

نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٦) سورة الأعراف، آية: ١٣٨-١٤٠.

(٧) سورة الأعراف، آية: ٣٣.

(٨) سورة البقرة، آية: ١١١.

(١) سورة البقرة، آية: ١٧٠.

(٢) سورة لقمان، آية: ٢١.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٨٣.

(٤) سورة الشعراء، آية: ٦٩-٨٢.

المتعالم يحجر عليه لصالح الأبدان، والمهندس المتعالم يحجر عليه لصالح البلدان. (٥).

٤- التحذير من الغرور: يقول تعالى: ﴿وَلَا يَغْرُرْ بِاللَّهِ الْمَالِ الْغَيْرِ الْمَالِ وَالْغُرُورُ﴾^(٦)، والمقصود بالغرور: كل ما يغرك من مال وجاه وشهوة وشيطان، وقد فسر الشيطان، وبالدنيا لأنها تغر وتغر، وأما الشيطان فإنه أقوى الغارين وأخبثهم^(٧).

والآيات التي جاءت بدم الغرور كثيرة؛ منها قوله تعالى: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيَمَيِّهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(٨)، وقوله تعالى: ﴿لَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ۚ مَتَّعَ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾^(٩)، وقال سبحانه: ﴿بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾^(١٠)، وقال: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعُ الْغُرُورِ﴾^(١١).

كما ذكرت الآيات القرآنية قصة قارون الذي بالغ في تقدير حجم ثرواته، كما هي عادة المغرورين، يقول تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾^(١٢)، وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ

كُنُوزَ صَدِيقَتِ^(١٣)، وربما احتكم في بعض تلك المطالب إلى العقل، كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلِ الْكَتَّابُ لِمَنْ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهَا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(١٤) هَآأَنْتُمْ هَآؤُلَآءِ حَاجَّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ^(١٥).

وليس النهي عن التعالم مقصوراً على العلوم الشرعية، بل هو نهى عام يشمل جميع أنواع العلوم، يقول صلى الله عليه وسلم: (مَنْ تَطَبَّبَ، وَلَا يُعْلَمُ مِنْهُ طِبٌّ، فَهُوَ ضَامِنٌ)^(١٦)، فالشرع يلزم هذا المتطفل على مهنة الطب بضمان التلّف، قال الخطابي: (لا أعلم خلافاً في أن المعالج إذا تعدّى فتلف المريض كان ضامناً والمتعاطي علماً أو عملاً لا يعرفه مُتَعَدِّ، فإذا تولد من فعله التلّف ضمن الدية وسقط القود عنه لأنه لا يستند بذلك دُونِ إِذْنِ الْمَرِيضِ، وجناية الطبيب في قول عامة الفقهاء على عاقلته)^(١٧).

وكما أن الحجر واجب على كل مفلس لصالح الجماعة؛ فالمتعالم أو العالم الماغن يحجر عليه من الفتياء لصالح الأديان، والطبيب

(٥) بكر بن عبدالله أبو زيد، التعالم وأثره على الفكر والكتاب، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ص١٣.

(٦) سورة لقمان، آية: ٣٣، وسورة فاطر، آية: ٥.

(٧) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، (القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٩٦م)، ١٢٩/٤.

(٨) سورة النساء، آية: ١٢، وسورة الإسراء، آية: ٦٤.

(٩) سورة آل عمران، آية: ١٩٦-١٩٧.

(١٠) سورة فاطر، آية: ٤٠.

(١١) سورة آل عمران، آية: ١٨٥، سورة الحديد، آية: ٢٠.

(١) سورة الأحقاف، آية: ٤.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٦٥-٦٦.

(٣) سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، ح(٤٥٨٨)، كتاب الديات، باب: فيمن تطبب بغير علم فأعنت، (بيروت: دار الكتاب العربي ٣٢٠/٤، وحسنه الألباني، مرجع السابق)، (٦٣٥).

(٤) انظر: محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطبيب، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ٢١٥/١٢.

أَتَقُوا اللَّهَ وَلَتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴿٢٧﴾^(٣)، وقال سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاهُ﴾^(٤)، وقال عليه الصلاة والسلام: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَفَحَّرَهَا بِالْأَبَاءِ، مُؤْمِنٍ نَقِيِّ، وَفَاجِرٍ شَقِيٍّ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ، لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ فَخَرَهُمْ بِرِجَالٍ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ عِدَّتِهِمْ مِنْ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ)^(٥)، كما أبطل النبي صلى الله عليه وسلم بفعله ما كان مشهوراً عند العرب في جاهليتهم؛ بعدم إنكاح من هو دونهم في النسب، فعن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها انكحي أسامة بن زيد فنكحته، وهي عربية قرشية بينما أسامة من الموالى رضي الله عنهم أجمعين.^(٦)

لقد كان للقرآن الكريم أثره البالغ، وتأثيره العميق في توجيه عقل الإنسان وسلامته، وجملة تعاليمه تهدف إلى تكوين عقلية سليمة، وقد نثرت شيئاً من تلك الآثار في المباحث السابقة، ولا بأس من جمع ما تفرق في مكان واحد، حتى تكتمل الصورة،

الْآخِرَةُ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْنُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۖ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ دُؤُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونٌ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّادِقُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَتَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآفُ اللَّهُ بِسُطِّ الرَّزْقِ لِمَنْ يَسَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَاتُ ۖ وَيَكَآفُهُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾، ولك أن تتخيل حجم تأثير هذه القصة على فكر الإنسان ووجدانه، لاشك أنها موعظة بليغة يتعلم منها الإنسان أهمية التواضع.

٥- النهي عن الفخر والخيلاء: وقد جاء في العصر الحديث مصطلح العنصرية، وجميع تلك المصطلحات - قديمها وحديثها - تخالف في أصلها ومضمونها دعوة التوحيد التي جاء بها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(١)، وقال سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

(٣) سورة الحشر، آية: ٢٨.

(٤) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٥) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، ح (٨٧٣٦)، مسند أبي هريرة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط ٣ (مؤسسة الرسالة، بدون، ١٩٩٩م)، ٤/٣٤٩، وحسنه الأرنؤوط.

(٦) بمعناه، انظر: صحيح مسلم، ح (١٤٨٠)، كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها، ٢/١١١٤.

(١) سورة القصص، آية: ٧٦-٨٣.

(٢) سورة النساء، آية: ١.

فتظهر حكمة القرآن واضحة جلية، وذلك على النحو التالي:

١- استخدم القرآن الكريم أسلوب الحوار العقلي لإزالة بعض التصورات والأفكار الخاطئة، ومعلوم أثر ذلك على سلامة عقل الإنسان، ومثاله ما جاء في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمِ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَطْفُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَرْبًا يَأْتِينَ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَعْبُدُونَ مَا تَحْتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾^(١)، وهو أسلوب قرآني حكيم؛ يعمل على إقناع العقل بالحق والنور المبين، فمن المعلوم أن الإنسان تبع لعقيدته، فإذا صحت فإنه يصح معها سائر أعمال الإنسان وتصوراته، فكان النتاج صحيحاً سليماً، والعكس بالعكس.

ومن استخدام القرآن الكريم للحوار العقلي^(٢)، ما جاء في قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مثنًى وَفَرْدًى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾^(٣)، قال الشوكاني عند تفسيره للآية: (أمر سبحانه رسوله أن يقيم عليهم حجة ينقطعون عندها، فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَحْدَةٍ﴾ أي: أحذركم، وأذكركم سوء عاقبة ما أنتم فيه، وأوصيكم بخصلة واحدة، وهي: ضخ ضمه طح ظم عجزاً هذا تفسير للخصلة الواحدة، أو بدل منها، أي: هي قيامكم وتشميركم في طلب

الحق بالفكرة الصادقة متفرقين اثنين اثنين، وواحداً واحداً، لأن الاجتماع يشوش الفكر، وليس المراد القيام على الرجلين، بل المراد القيام بطلب الحق، وإصداق الفكر فيه، كما يقال: قام فلان بأمر كذا ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ في أمر النبي، وما جاء به من الكتاب، فإنكم عند ذلك تعلمون أن ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾^(٤).

ولذا كان لعقيدة القرآن الكريم اليد العليا في تحرير عقل الإنسان من كل عوامل الخوف والتبعية، وأسهمت إسهاماً مباشراً في بناء شخصية إنسانية حضارية، قال تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾^(٥) أي صدها عن حصول العلم النافع عبادتها الشمس فكانت بذلك الاعتقاد منصرفة عن الكمال العلمي، والرشد الفكري، واستكمال الحضارة الصحيحة، قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتَابَعٍ﴾^(٦)، فجعل لحال اعتقادهم أثراً في زيادة هلاكهم^(٧)، كما أن القرآن الكريم قد ذم الخرافة، والشعوذة، والتقليد في الباطل؛ مهما كانت منزلة المقلد وقربته، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ

(٤) سورة سبأ، آية: ٤٦.

(٥) محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، (دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ/٢٠١٤م) ٣٨٢/٤.

(٦) سورة النمل، آية: ٤٣.

(٧) سورة هود، آية: ١٠١.

(٨) محمد الطاهر بن عاشور، النظام الاجتماعي في الإسلام، مرجع سابق، ص٦٠.

(١) سورة الصافات، آية: ٩٣-٩٦.

(٢) انظر: الدعشي، مرجع سابق، ص٢٤٩ "بتصرف".

(٣) سورة سبأ، آية: ٤٦.

السلف الصالح، والإيمان بهذه الحقائق له أثره الواضح في سلوك الإنسان واستقامته في جميع أقواله وأعماله، بالإضافة إلى عوامل أخرى ستؤثر في عقل الإنسان ووجدانه، كقوة النفس، وسلامة الصدر، والحياة الطيبة السعيدة، وغيرها. ٥- لقد أسهمت نصوص القرآن الكريم في المحافظة على العقل، كما توجت نداءاته بتحريم كل ما يخامر العقل أو يغطيه، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحُمُرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١)، ومعلوم أن العقل لا يعيش بمنأى عن الجسد، ولكل عضو تأثيره في الآخر، ولذا جاءت تعاليم القرآن لتغذي روح الإنسان وعقله، وتعمل على ترشيد غرائزه ونوازعه، فحمت بذلك العقل وسائر مصالح الإنسان وضرورياته، فالقرآن الكريم قد أباح النكاح، والاستمتاع بالشهوات الحلال، وأكل الطيبات، وأخذ الزينة، ودعا إلى الرفعة والارتقاء في درجات الكمال والجمال، فقال تعالى: ﴿وَنَقِصْ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾^(٢)، وحرّم في مقابل ذلك النزول إلى دركات الكفر، والشرك بالله، والزنا، ونهى عن الفرقة والتنازع، وسائر المعاصي والآثام، وكان واقعياً بفرضه للعقوبات، فمن الناس من لا يردعه خلق ولا دين عن التجاوز والطغيان، فهنا تتدخل عدالة السماء بقوتها الرادعة^(٣)، قال

اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ءَوَّلُو كَانِ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾^(٤).

٢- القرآن الكريم يحث على استخدام البرهان في الحسيات، ويدعو إلى التثبت في النقليات، وليس ثمة كتاب خاطب العقل كالقرآن الكريم، قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿لَقَوْمٍ يَفْقَهُوْنَ﴾^(٦)، وقال: ﴿لَقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٧)، وقد سبق معنا عرض نماذج قرآنية تستحث سمع الإنسان وبصره على التفكير والاعتبار، وقد أثر ذلك في ثقافة المسلمين بالإيجاب، فوصلت حضارة المسلمين على النحو الذي يشهد له العالم أجمع.

٣- حث القرآن الكريم على العلم، وطلبه والاستزادة منه، قال تعالى:

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٨)، وقد نشر القرآن الكريم الكثير من أحوال الأمم وتاريخها، وهذا -بحد ذاته- له بعد ثقافي من شأنه أن يثري في الإنسان عامل الخبرة لا سيما في جانب العلوم الاجتماعية والتاريخ، بالإضافة إلى تنمية مهارة البحث والقراءة.

٤- دعوة القرآن إلى الإيمان بالحقائق الكبرى، كإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وما أجمع عليه

(١) سورة المائدة، آية: ١٠٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ٧٣.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٩٨.

(٤) سورة الجاثية، آية: ١٣.

(٥) سورة طه، آية: ١١٤.

(٦) سورة المائدة، آية: ٩٠.

(٧) سورة الشمس، آية: ٧-٩.

(٨) قال ابن القيم: (وأما معاقبة السارق بقطع يده وترك معاقبة الزاني

بقطع فرجه ففي غاية الحكمة والمصلحة، وليس في حكمة الله

تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ وَالسِّرَّ بِالسِّرِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(١).

وقد ذهب الإسلام في سبيل محافظته على الضرورات الخمس لخطوات مكملتها، من شأنها أن تحمي تلك التشريعات وتحوطها بالحفظ والرعاية، فنلمس مثلاً من تشريع الأذان -وهي شعيرة ظاهرة للعيان- نموذجاً مكماً لحفظ الصلاة وأمر الدين، كما نلمس من العدل في تماثل القصاص العين بالعين والسن بالسن، ضرورة مكملتها لحفظ الأنفس، ونلمس من الإسلام أيضاً المبالغة في حفظ العقل عن كل وسيلة من شأنها أن تؤثر فيه بخلل، ولذلك يحرم القليل من الخمر ولو لم يسكر لأنه يدعو إلى الكثير المضيق للعقل، قال صلى الله عليه وسلم: "مَا

ومصلحة خلقه وعنايته ورحمته بهم أن يتلف على كل جان كل عضو عصاه به فيشرع قلع عين من نظر إلى المحرم وقطع أذن من استمع إليه ولسان من تكلم به ويد من لطم غيره عدواناً ولا خفاء بما في هذا من الإسراف والتجاوز في العقوبة وقلب مراتبها وأسماء الرب الحسنی وصفاته العليا وأفعاله الحميدة تأتي ذلك وليس مقصود الشارع مجرد الأمن من المعاودة ليس إلا ولو أريد هذا لكان قتل صاحب الجريمة = فقط وإنما المقصود الزجر والنكال والعقوبة على الجريمة وأن يكون إلى كف عدوانه أقرب وأن يعتبر به غيره وأن يحدث له ما يذوقه من الألم توبة نصوحاً وأن يذكره ذلك بعقوبة الآخرة إلى غير ذلك من الحكم والمصالح)، مرجع سابق، إعلام الموقعين، ٨٢/٢.

(١) سورة المائدة، آية: ٤٥.

أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ"^(٢)، وفي سنن الإسلام للكفاءة بين الزوجين مدعاة إلى حسن العشرة ودوام الألفة واستمرار الحياة بين الزوجين، وقد أباح في سبيل ذلك النظر إلى المخطوبة الأجنبية تنمة لحفظ البيت الزوجي وحمايته من فاحشة الزنا، وكل ذلك من مكملات الإسلام لحفظ ضرورة النسل، كما أن في تحريم الإسلام لأنواع من البيوع كالنكح والاحتكار ضرورة مكملتها لحفظ المال.^(٣)

فالقرآن الكريم يسعى لاستثارة الإيمان الكامل والمستقر في فكر المسلمين ووجدانهم، حتى يكون هو الموجه الأوحى لضبط تصرفاتهم وأخلاقهم، ولا يقصد من تشريعه للحدود إقامة شرطي يحصي على الناس أخطاءهم، بل هو دين يحث على الستر، وقد كان عليه الصلاة والسلام يوجه كل من جاءه مذنباً إلى الاستغفار والتوبة، وربما أعرض عن سماع الاعترافات تعريضاً بالمعترف بأن لديه في التوبة مندوحة، كما كان يتلمس للشبهات ما يدرأ به الحد عن المذنب، وعندما تستوفي الجريمة شروطها فلا يتبقى من إقامتها بُدٌّ، فإنه يقيم شرع الله حتى لا

(٢) الترمذي، مرجع سابق، ح ١٨٦٥، أبواب الأشربة، باب: ما جاء ما أسكر كثيره فقليله حرام، ٤٤٢/٣، وأبوداود، مرجع سابق، ح ٣٦٨١، كتاب الأشربة، باب: النهي عن المسكر، ٣٢٧/٣، محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ح ٣٣٩٣، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، أبواب الأشربة، باب: ما أسكر كثيره فقليله حرام، (بدون: دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩م)، ٤٧٥/٤، من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - وحسنه الترمذي.

(٣) انظر: محمد عبدالعاطي، مرجع سابق، ص ١٠ "بتصرف".

الحواس، والإنسان مع ذلك لا يستغني عن معونة الله حتى يكتب له التوفيق.

٦- يعتبر العلم وسيلة من الوسائل النبيلة التي يحث عليها القرآن الكريم، ويؤكد على ربطها بالعمل، حتى يحقق العبودية لله تعالى.

٧- تحتل القراءة مكان الصدارة في تراث المسلمين، وهي وسيلة هامة لتنمية عقل الإنسان وتطوير ملكاته.

٨- لم يفرض نظام الوحي التشريعي قيوداً على العلم، إلا في حال خروجه عن غاية الإصلاح في الأرض.

٩- تلتقي جميع أنواع العلوم والمعارف المختلفة مع علوم الشريعة تحت مظلة الإسلام، وذلك في حال التزام تلك العلوم بأحكامه وتصوراتها.

١٠- لا يقتصر مفهوم العبادة في القرآن الكريم على أداء شعائر الإسلام التعبدية فحسب، وإنما يشمل جميع أعماله، ونشاطاته، ما دام يتوجه بها إلى الله تعالى.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أبوبكر محمد بن عبد الله ابن العربي، أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر.
- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، ح(٨٧٣٦)، مسند أبي هريرة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط٣ (مؤسسة الرسالة)، بدون، ١٩٩٩م.

يصبح التراخي عندها تفريطاً بحق الله تعالى وحق العباد والمجتمع ككل^(١).

وهناك حِكم كثيرة، وغايات نبيلة لا يسع المقام لذكرها، ولا تغطن العقول لحصرها، وإن كان يكفينا من ذلك أن نقف على دور تلك الأساليب القرآنية في رفع مستوى الحس الرقابي للإنسان، وكيف عملت على انتشاله من عالم الخرافة والجهل إلى دنيا واقعية حيث العلم والنور، وفتحت له المجال للتطوير والإبداع، وفي فترة وجيزة، انتظم حال العرب، وأصبحت لهم حضارة ومجد بعد أن كانوا يتخبطون في ظلمات الجهل والخرافة، والفرقة والضعف، فالحمد لله رب العالمين.

ونختتم هذه الجولة بجمع ما خلصنا إليه من خلال هذه الدراسة، وهي النتائج التالية:

- ١- يؤسس القرآن الكريم لبنية حضارية راقية، وإذا ما أردنا لعقولنا أن تنمو، وأفكارنا أن تزدهر، فإن علينا أن نتمثل مبادئه وقيمه.
- ٢- لقد كان للعقل دور كبير في تلقي نصوص الوحي وفهمها.
- ٣- أن النهوض بعقل الإنسان على مبادئ القرآن الكريم يساعدها على فهم الدين الذي ننتمي إليه.

٤- لقد أسهم الأسلوب القرآني الحكيم في بناء شخصية متميزة للمسلم.

٥- يشيد القرآن الكريم بدور العقل الهام في تلقي العلوم والمعارف، وهو دور مكمل لوظيفته

(١) محمد حسين الذهبي، أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، (القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٧٨م)، ٥١، "بتصرف".

-الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان الداودي، دمشق، بيروت: دار القلم، والدار الشامية، ١٤١٢هـ.

-راجح عبدالحميد الكردي، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، الرياض: دار الفرقان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.

-سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٣هـ.

-سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبو داود، بيروت: دار الكتاب العربي.

-صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، بيروت: دار الهلال، ١٤٢٧هـ.

-عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.

-عبدالكريم بكار، تجدد الوعي، ط٣ دمشق: دار القلم، ٢٠١٠م.

-عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، ط٣، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨١م.

-عمر ابن شبة، تاريخ المدينة، تحقيق: فهمي شلتوت، جدة، ١٣٩٩.

-القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

-أحمد بن علي الموصلي، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين بن سليم أسد، دمشق: دار المأمون للتراث، ١٩٨٤م.

-أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م، ٩١/٢.

-أحمد محمد حسين الدعشي، نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتضمنياتها التربوية دمشق: دار الفكر، ٢٠٠١م.

-إسحاق بن إبراهيم بن راهويه، مسند إسحاق، تحقيق: د.عبدالغفور البلوشي، المدينة المنورة: مكتبة الإيمان.

-إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.

-بكر بن عبدالله أبو زيد، التعامل وأثره على الفكر والكتاب، دار العاصمة للنشر والتوزيع.

-جمال عبد العزيز، مصدرية القرآن والسنة للمعرفة، على الرابط:

<https://vb.tafsir.net/tafsir16002/#post78798>

-حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، الدمام: دار ابن القيم، ١٤١٠هـ.

-الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط٥، بدون: دار الجيل، ١٩٨١م.

-محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، لمحمد الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة.

-محمد الطاهر بن عاشور، النظام الاجتماعي في الإسلام، ط٣ تونس: دار سحنون، ٢٠١٠م.

-محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، ط٢، بدون: دار المنار، ١٩٩٩م.

-محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم (بيروت: دار الكتب العمية، ١٩٩١م).

-محمد بن أبي بكر ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٨.

-محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري (الجامع الصحيح المسند من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، تحقيق: محمد زهير، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

-محمد بن علي الشوكاني، تفسير فتح القدير، دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ.

-محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، تفسير مفاتيح الغيب، ط٣، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ.

-مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٩٦م.

-مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٧٩م.

-محمد الأمين بن المختار الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٩٥م.

-محمد الأمين الشنقيطي، العذب النмир من مجالس الشنقيطي فـي التفسير، تحقيق: خالد السبب، ط٢، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ.

-محمد الأمين الشنقيطي، مجالس مع فضيلة الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي، الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٧م.

-محمد الأمين الشنقيطي، مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر.

-محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤).

-محمد حسين الذهبي، أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٧٨م.

-محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

-محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٦م.

-محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة، الرياض، مكتبة المعارف.

-مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث.

-مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، ط٣، دمشق: دار القلم، ٢٠٠٥م.

-محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار المغرب، ١٩٩٨م.

-محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، تاج العروس من جواهر.

-محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت: دار إحياء التراث.

-محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.

-محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، أبواب الأشربة، دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩م.

Quran Style in the Wisdom of Human Mind (English Abstract)

Ali bin Mohammed bin Ibrahim Shihab

Abstract Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon Muhammad and his family and companions.

The research question is Quran Style in the Wisdom of Human Mind Structure. By its nature, the research has been divided a preface, an introduction, four chapters and a conclusion and an appendix for resources, references, and table of content.

The introduction tackles the question, its importance, reasons for its choice, research plan and approach.

The preface contains a brief presentation on human expected role on earth according to Holy Quran.

The study aims at exploring the Quran style and its role in human mind's structure and safety.